المجموعة الحضارية (ج) وأصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

نعمات عمر عبد الجبار

مستخلص: وفقاً لرايزنر، تمثل المجموعة (ج) المجموعة الثالثة في سلسلة الحضارات التي ظهرت في النوبة السفلى. ويرى كثير من العلماء أن ظهور حضارة المجموعة (ج) تزامن مع فترة الاضمحلال الأولى. تهدف الدراسة إلى تأكيد أن الأسرة الخامسة والعشرين التي حكمت مصر وبلاد كوش في الفترة ما بين (٧٦٠– ٦٥٣ ق.م)، كانت أسرة كوشية، وأن أسلاف هؤلاء الملوك ينتمون إلى أقدم المجموعات الحضارية التي ظهرت في المنطقة الواقعة إلى الشمال من الشلال الثاني، وهي المجموعة (أ) والتي منها انبثقت المجموعة الحضارية (ج)، وإن أفرادها تركوا موطنهم في الشمال وهاجروا إلى منطقة الشلال الرابع حيث وضعوا اللبنات الأولى لدولتهم في منطقة نبتة.

The C-Group and the Origin of the Twenty-Fifth Dynasty

Abstract: According to Reisner, who discovered Lower Nubia civilizations, the C-Group represents the third one. Many scholars agreed that the C-Group came into existence during the first intermediate period. This study tries to confirm that the twenty-fifth dynasty, which ruled Egypt and Kush between 760 – 653 BC, was a Kushite one and that the ascendants of these kings belong to the most ancient civilized groups in Lower Nubia; namely, the A-Group, which founded the C-Group. The latter migrated to Upper Nubia and laid the foundation of their first kingdom in the area of Nabata.

كلمات مفتاحية: النوبة السفلى والنوبة العليا – الحضارات الكوشية – ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

مقدمة:

اختلفت الآراء حول أصل الكوشيين الذين سادوا في السودان ابتداءً من القرن التاسع قبل الميلاد، وأسسوا ملكاً قوياً مكنهم من الزحف شمالاً وإخضاع مصر مكونين فيها الأسرة الخامسة والعشرين. كان أصحاب الرأي الأول يرون أنهم يرجعون لأصول مصرية، والرأي الثاني نسب أصحابه هذه الأسرة لأصول ليبية، لكن الرأي الثالث والذي قال مقدموه أنهم من أصل محلي، وجد قبولاً واسعاً، وذلك لإيجابية الأدلة التي اعتمدوا عليها. وما نحاول إثباته في هذا البحث هو أن المؤسسين

لذلك المُلك كانوا خليطاً من أصحاب حضارة المجموعة (ج) وسكان نبتة، وهناك ما يثبت نزوح أصحاب تلك المجموعة جنوباً، واختلاطهم وتأثيرهم الحضاري في سكان نبتة ومروي، كما سنحاول أن نثبت في بحثنا هذا.

المجموعة الحضارية (ج)

أطلقت بعثة النوبة الآثارية بقيادة عالم الآثار ج .أ. رايزنر اسم المجموعة (ج)، على مجموعة من أصحاب القبور التي كانت لأقوام غير مصريين، وذلك لعدم معرفة اسمهم الحقيقي، وتمييزاً لهم عن أقوام آخرين لم تعرف أيضاً أسماؤهم، أطلق عليهم من قبل أسماء المجموعة الحضارية (أ) والمجموعة الحضارية (ب). وهذه المجموعة، حسب تسمية رايزنر، هي المجموعة الثالثة التي اكتشفها عندما بدأ الحفريات في النوبة السفلى في عام ١٩٠٧م.[١]

كان ظهور المجموعة الحضارية (ج) وراء اتحاد وقوة الدويلات التي نشأت في المنطقة الواقعة شمال الشلال الثاني،[٢] عندما ضعفت السلطة المركزية في مصر بنهاية الأسرة السادسة ٢١٨٠ ق.م. وازدهرت منطقة واوات (النوبة السفلى)، وجنحت إلى الاستقلال والتحدي، وشهدت المنطقة إعادة تعمير ورخاء مادي. وقد أشارت إلى ذلك نصوص قادة القوافل التجارية التي كان يرسلها الملوك المصريون، مثل حرخوف الذي ذكر أن تلك المنطقة اكتنفتها تطورات سياسية أخرجتها من نطاق السيطرة المصرية،[٣]

(١) G.A. Reisner (1910): "The Archaeological Survey of Nubia", *Report for 1907-1910*, 2 volumes, Cairo, pp. 324-334.

(٢) K. Sethe (1933): *Urkunden des ägyptischen Altertums*. Leipzig, pp. 125-128.

(٣) الحاكم وبونيه (١٩٩٧): كرمة مملكة النوبة، تراث أفريقي من عهد الفراعنة، شركة دار الخرطوم للطباعة والنشر والتوزيع، الخرطوم، ص ٧٣.

وأن دويلات تلك المنطقة قد زادت قوتها. ففي رحلته الثانية مثلاً أشار لوجود حاكم واحد لكل من ارتت وسيجو، لكنه في الرحلة الثالثة وجد حاكماً واحداً يحكم كل هذه الأقاليم مضافاً إلى واوات،(٤) وربما جاء هذا الاتحاد القبلي لمواجهة العدوان المصري المتكرر على المنطقة،(٥) وهكذا يمكن القول إن منطقة واوات قد شهدت قيام دولة مستقلة خلال الأسرة السادسة، وأن هذه الدولة استفادت من سيطرتها على الطرق التجارية،(٦) وبالتالي فإنه تبعاً للظروف السياسية السابقة انقطعت العلاقات التجارية المنتظمة بين مصر ومنطقة واوات، وفقدت مصر نفوذها في الجنوب.

يشير قريفث إلى أن معظم آثار هذه الحضارة يتزامن مع فترة الاضمحلال الأولى ٢٢٤٠–٢١٥٠ ق.م (بين نهاية الأسرة السادسة المصرية وبداية الأسرة الحادية عشرة)،(٧) ويتفق معه آركل الذي يرى أن وصول أهل المجموعة الحضارية (ج) إلى منطقة واوات ربما كان قبل بداية المملكة المصرية الوسطى، وأن دخولهم لواوات قد أدى إلى إعادة الرخاء، والإقامة فيها بعد فترة طويلة من خلوها من السكان إثر النهاية المفاجئة للمجموعة الحضارية (أ).(٨) هذا، في حين يرى رايزنر أن فترة انتشار المجموعة الحضارية (ج) تزامن مع عصر المملكة المصرية الوسطى.(٩)

(٤) *op.cit.* , pp.125-128. Sethe,

(٥) B.G. Trigger (1976): *Nubia under the Pharaohs*. London: Thames and Hudson, pp. 49-54.

(٦) D. Dixon (1958): "The Land of Yam", *JEA*, Vol. 44, London, pp. 40-55.

(٧) F.L.l. Griffith (1921): Oxford Excavations in Nubia, Nubia from the Old to the New Kingdom, *LAAA,Vol. 8*, Oxford, pp. 65-71.

(٨) A.J. Arkell (1961): *A History of the Sudan from the Earliest Times to 1821*. London: The Athlone Press, p. 46.

(٩) Reisner, *op.cit*., p. 342.

وتؤكد الأدلة المادية أن تلك الحضارة غطت حيِّزاً زمنياً طويلاً يمتد من الأسرة المصرية السادسة تقريباً حتى الأسرة المصرية الثامنة عشرة. ولابد أن نذكر أن آثار المجموعة (ج) تؤرخ بالاعتماد على بعض الأواني الشبيهة بنظائرها المصرية، وكذلك على بعض السلع المستوردة.(١٠)

أصل أصحاب المجموعة (ج)

وضع الباحثون عدداً من الافتراضات حول أصل أفراد هذه المجموعة الحضارية، اختلفوا فيها بين الأصل الأجنبي والأصل المحلي أو بين افتراض الهجرة وافتراض التطور والارتقاء.

نظرية الهجرة

يرى بعض الباحثين الذين افترضوا الهجرة أن هذه الحضارة احتوت على عناصر لم تكن معروفة من قبل في حضارة المجموعة (أ)، ومن ثم افترضوا أن التغيرات التي حدثت في منطقة واوات قد كانت بفعل هجرة وافدة، بمعنى أن هذه النظرية اعتمدت على مبدأ الانتشار الحضاري. أما بالنسبة للمنطقة التي قدمت منها تلك الهجرة فقد طرحت حولها كثير من الافتراضات.

أولاً: الهجرة من الصحراء الغربية:

يعتبر أوريك بيتس (O. Bates) أول من قال بالأصل غير المحلي لأهل المجموعة الحضارية (ج)، معتمداً في نظريته على التشابه بين رسومات الصخور في الصحراء

(١٠) أسامة عبد الرحمن النور (٢٠٠١م): "رؤية مجددة في تاريخ كوش الثقافي"، أركمني، مجلة الآثار السودانية، العدد الأول، ص ١٨.

الغربية التي تصوِّر أبقاراً ذات أجسام مخططة بخطوط عمودية، وبين تلك الرسومات التي رسمها أهل المجموعة (ج) على أسطح فخارهم، وعلى بعض الألواح الحجرية التي كانوا يضعونها على جباناتهم، وخلص إلى أن حضارة المجموعة (ج) حضارة غير محلية، جلبها غزاة من الصحراء الغربية. حاول بيتس دعم رأيه بنتيجة دراسته التحليلية لجماجم الموتى التي أوضحت – وفق وجهة نظره – أن تلك القبور كانت لتجمعات ليبية (صحراوية)، عاشت في بلاد النوبة السفلى. وقد شفع رأيه أيضاً بعدة أدلة أثرية، منها التشابه في طريقة الدفن، وأشكال قبور هذه المجموعة. لذلك رجح أن يكون أفراد هذه المجموعة ينتمون لسكان الصحراء الغربية (الليبيون الغربيون – الطمياح).[١١]

لم ينسب رايزنر (Reisner) في بداية الأمر التطور الذي صحب ظهور هذه المجموعة لأي عنصر أجنبي، واعتبر أن حضارتها متفردة ومتميزة ومحلية أصيلة، واعتبرها نهضة من الأحوال المتردية التي كانت سائدة في شمال الشلال الثاني قبل ظهور هذه المجموعة الحضارية،[١٢] غير أنه عاد واتفق مع أصحاب النظرية التي طرحت فكرة أنهم ينتمون لسكان الصحراء الغربية.[١٣]

يعتقد آركل (Arkell)، وهو أحد الباحثين الذين يؤيدون الأصل الخارجي لأفراد هذه المجموعة، أن مجيئهم من الغرب هو الرأي الأرجح احتمالاً؛ فقد كانت الأواني

(١١) O. Bates, (1914): *The Eastern Libyans.* London: (n.d.), p. 4.

(١٢) Reisner, *op.cit*., Vol.1, p. 335.

(١٣) G.A. Reisner (1923): *Second Report, Excavations at Kerma*, 1V-V. HAS.6. Boston: *Harvard University Press,* p. 555.

الفخارية وبقايا الأواني الخزفية التي جلبها هولشر[١٤] من وادي هوار (بين دارفور والصحراء الغربية) شبيهة بفخار المجموعة (ج). وفي تقديره أن أهل المجموعة (ج) ربما كانوا فرعاً من الليبيين الجنوبيين (الطمياح)[١٥] الذين كانوا – وفق وجهة نظره – يعيشون في وقت ما على طول وادي هوار في منطقة التاما ووادي النيل (بين وادي حلفا وأسوان)، وهو المكان الذي استقر فيه أهل المجموعة (ج).[١٦]

ولمعالجة هذا الأمر وتناول هذا الافتراض بالتحليل، لابد من القول إن العناصر المشتركة بين المجموعة الحضارية (ج) وسكان الصحراء الغربية تتكون من عناصر منتشرة بصورة واسعة في شمال أفريقيا، وبالتالي فإن هذه السمات المشتركة مثل تقديس الأبقار، واستخدام التنورات النسائية التي تصل إلى الركبة مع الثنيات الواسعة، وكذلك الشبه التشريحي، وأوجه الشبه في أوضاع الدفن، لا تقدم دليلاً قوياً على أصل مشترك للحضارتين.[١٧]

ثانياً: الهجرة من الصحراء الشرقية:

طابق مردوك (Murdock) أهل حضارة المجموعة (ج) بالبجة سكان الصحراء الشرقية، وافترض أنهم هم الذين جلبوا معهم إلى واوات تقليد الاستفادة من ألبان

(١٤) W. Holscher (1937): *Libyer und Ägypter*. Hamburg New York, p. 56.

(١٥) Arkell, *op.cit*. p. 49.

(١٦) *ibid*., p. 44.

(١٧) ماريا كوستانزا (٢٠٠٤): "المجموعة الثالثة في النوبة السفلى"، أركمني، مجلة الآثار السودانية، العدد الخامس، ترجمة أسامة عبد الرحمن النور، ص ٢٨.

الأبقار،[١٨] وقد أيد يونكر فرضية الأصل الحامي الشرقي لحملة حضارة المجموعة (ج).[١٩]

أما فيرث (Firth) فإنه يرى أن أهل المجموعة الحضارية (ج) هاجروا من الصحراء الشرقية، أو من الأقاليم الواقعة على نهر عطبرة،[٢٠] وأن هجرة أهل المجموعة (ج) جاءت عقب الاضطراب السياسي الذي أصاب مصر، ونتيجة للضعف الذي أصاب المنطقة بعد حملة بيبي نخت وبداية فترة الاضمحلال الأولى والحروب الأهلية، مما مكَّن المجموعة (ج) من وضع أقدامها في إقليم واوات.[٢١] فهم سكان محليون أتوا من المنطقة جنوب الشلال الثاني واستقروا في المنطقة الواقعة إلى الشمال منه، وقد يفسر هذا وجود بعض الهياكل الزنجية في مدافن المجموعة الحضارية (ج). من ناحية أخرى فإن تلك الهياكل التي تحمل السمات الزنجية قد ظهرت في مدافن الطور الأول من حضارة المجموعة (ج)، في حين كانت هياكل الفترة السابقة تحمل سمات أشبه بسمات المصريين في عهد ما قبل الأسرات.[٢٢]

(١٨) C.B. Murdock (1959): *Africa, its People and their Cultural History*. New York: McGraw Hill, p. 159.

أنظر أيضاً أسامة عبد الرحمن النور (١٩٨٢): "نحو نظرة جديدة إلى التاريخ الحضاري للسودان القديم"، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد ٢١، ص ص ٥-٧٤.

(١٩) H. Junker (1921a): "The First Appearance of the Negroes in the History", *JEA,* London, Vol. 7, p. 129.

(٢٠) C.M. Firth (1915): *The Archaeological Survey of Nubia 1909-1910*. Cairo: Government Press, pp. 11-12.

(٢١) *Ibid*., pp. 19-20.

(٢٢) ماريا كوستانزا، مرجع سابق، ص ٢٦-٢٧.

ثالثاً: الهجرة من الجنوب الغربي:

يرى اشتايندروف (Steindorf) أن أهل حضارة المجموعة (ج) قد أتوا من الجنوب الغربي من كردفان، واستوطنوا أولاً جهة الشلال الثاني، ويدلل على صحة رأيه بانتشار صناعة الخزف في كل مكان من النوبة السفلى وكردفان، وبصلتها الوثيقة بصناعة أصحاب المجموعة الحضارية (ج).[٢٣] من جانب آخر فإن الرسوم الصخرية في كردفان تشبه الرسوم الممثلة على فخار أهل المجموعة (ج) وعلى شواهد قبورهم.[٢٤]

نظرية التطور والارتقاء

تقول نظرية التطور والارتقاء إن حضارة المجموعة (ج) اشتقت جذورها من الحضارة التي سبقتها في الظهور، وهي حضارة المجموعة (أ). ويبدو أن البينة الآثارية تدعم فكرة أن التطور الذي صحب المجموعة (ج) كان في الأساس استمراراً وتطوراً للطور الأخير لحضارة المجموعة (أ)؛ فقد وُجدت مواقع كانت مأهولة خلال الفترتين واستمرت باقية، كما استمر استخدام الجرار ذات العنق الأسود، ومثلها أيضاً استمرت الممارسات الجنائزية (أ).[٢٥] وهذا يعني أن المجموعة الحضارية (ج) حلت مباشرة محل المجموعة الحضارية (أ).[٢٦]

(٢٣) سليم حسن (١٩٤٩): مصر القديمة، ج ٧، عصر مرنبتاح ورعمسيس الثالث، القاهرة، دار الكتب المصرية، ص.٦٥ ؛ G. Steindorf (1935-1937): *Aniba*, Vol.2 ,Cairo, p. 72.٢

(٢٤) J.H. Dunbar (1934): "Some Nubian Rock Pictures", *SNR*, Vol. 17, part 2, p. 150 ff.

(٢٥) ماريا كوستانزا، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٢٦) أسامة عبد الرحمن النور (١٩٨٢)، مرجع سابق، ص ٦٧.

يؤيد آدمز (Adams) هذه الفرضية ويرى أن أصحاب المجموعة الحضارية (ج) لا يختلفون كثيراً عن أهل حضارة المجموعة الحضارية (أ)، ويؤكد على وجود أوجه كثيرة للتشابه بين المجموعتين خاصة في الفخار وعادات الدفن.[٢٧] ويعتقد أن التوافق بين المجموعتين لا يمكن أن يكون نتيجة لضيق الأرض، مما يفرض على أهل حضارة المجموعة (ج) استخدام نفس الجبانات الخاصة بالمجموعة (أ).[٢٨] وبقبول وجهة نظر آدمز يصبح من الممكن استنتاج أن أهل حضارة المجموعة (ج) سكنوا في نفس المواقع التي عاش فيها أهل حضارة المجموعة (أ)، واستخدموا ذات الجبانات عن قصد وإدراك ووعي،[٢٩] بدليل أنه يمكن تتبع العديد من العناصر الحضارية المميزة لحضارة المجموعة (أ) في حضارة المجموعة (ج)، مع إفراز الأخيرة لبعض العناصر المميزة لها، لا سيما الطابع الرعوي.[٣٠] وعليه، في تقديرنا أن أهل حضارة المجموعة (ج) قد سعوا لأن يخطوا لأنفسهم حياة خاصة وطابعاً خاصاً بهم.

يتفق تريقر(Trigger) مع فرضية الأصل المحلي الذي يرى أن المجموعة الحضارية (ج) كلها أو جزءاً منها تنحدر من المجموعة الحضارية (أ)، وأن أعدادها تزايدت، وبطول الأسرة السادسة تحولوا إلى مجتمع مستقر.[٣١] وقد استدل في ذلك بما ذكره حرخوف والذي ذكرناه سابقاً.

(٢٧) - W.Y. Adams (1977): *Nubia, Corridor to Africa*. London: Allen, Lane, p. 150.

(٢٨) W.Y. Adams (1967): "Continuity and change in Nubian cultural history", *SNR*, Vol. 48, P. 9.

(٢٩) أسامة عبدالرحمن النور (١٩٨٢)، مرجع سابق، ص ٧٣.

(٣٠) Reisner (1910), *op.cit*., pp. 324-325.

(٣١) B.G. Trigger (1976): *op.cit*., pp. 49-54.

لابد أن نؤكد أن معطيات الحضارة المادية المتوفرة تثبت بالتحديد أصالة حضارة المجموعة (ج)، وطابعها المحلي؛ وهي بلا شك تشكل استمرارية طبيعية لتطور حضارة المجموعة (أ). ومما يشير إلى التقارب الكبير بين النسقين الحضاريين، أن المخلفات الأثرية المميزة لكل من الحضارتين تم العثور عليها في نفس المواقع الأثرية، كما تم الكشف عن الجبانات والمواقع السكنية، التي توجد فيها مواد مميزة للنسقين.[٣٢]

أما من ناحية الأصل العرقي فإن الدراسات الأنثروبولوجية التي صاحبت حملة المسح الأثري الأول خرجت بنتيجة عامة، وهي أن أهل حضارة المجموعة (ج) ليسوا زنوجاً، وأن الأثر الزنجي في جماجمهم كان ضئيلاً جداً. ومن ناحية أخرى أوضح بطراوي الصلة العرقية بينهم وبين المجموعة الحضارية (أ)[٣٣] وهو عين ما أشار إليه يونكر (Junker) حين ذكر أن أهل المجموعة الحضارية (ج) ربما كانوا ينتمون عرقياً وحضارياً إلى جنس المجموعة الحضارية (أ) الذي أُطلق عليه مصطلح "جنس البحر المتوسط أو الجنس البني (Brown Race)".[٣٤]

من ناحية أخرى دلت نتائج الفحص في الهياكل البشرية التي وُجدت في أقدم الجبانات المحلية من عهد المجموعتين الحضاريتين (أ) و(ج) على أن أقدم سكان عُثر عليهم كانوا متشابهين مع المصريين في عهد ما قبل الأسرات، وأنهم من نفس السلالة. [٣٥] فقد كان الجنس الذي يسكن المنطقة الواقعة جنوباً حتى الشلال الثاني

(٣٢) W.Y. Adams (1962): "An introductory classification of Nubian Christian pottery", *Kush*, Vol. X, p.13.

(٣٣) A.M. Batrawi (1945): "The Racial History of Egypt and Nubia", *Journal of the Royal Anthropological Institute*, Vol. 75 (1945) & 76 (1946) 81-101-131-155.

(٣٤) Junker, *op.cit*., p. 127.

(٣٥) سليم حسن (١٩٥٥): مصر القديمة، الجزء العاشر، القاهرة، ص ٣.

يشبه تماماً ذلك الجنس الذي يسكن إقليم مصر.[٣٦] وقد برهنت الكشوف في تلك المنطقة على أن سكانها، الممثلين للمجموعتين الحضاريتين (أ وج)، لم يكونوا زنوجاً بأية حال من الأحوال، بل هم من أصل حامي، وقد اختلط دمهم بعض الشئ بالدم الزنجي. وقد أثبت يونكر أنه لم يُوجد حتى عهد الدولة المصرية الحديثة في الرسوم المصرية صورة زنجي، وأن الأسرى الذين استولى عليهم تحتمس الأول وأحضرهم معه إلى مصر، كما في الصور في مقبرة (إننى)،[٣٧] لا تدل هياكلهم على أنهم زنوج، بل هم من الجنس الحامي.[٣٨] ومن ناحية أخرى فإن كلمة نحسيو (والتي تعني السود) لم تكن تُطلق فقط على سكان وادي النيل من أسوان حتى السودان، بل كذلك كانت تشمل أيضاً سكان بلاد بونت.[٣٩] لذلك يبدو لنا أن الافتراض القائل أنهم أقرب إلى أهل شمال السودان الحاليين الذين يصعب تصنيفهم في المجموعة الزنجية أو المجموعة القوقازية،[٤٠] افتراضاً مقبولاً. فأهل المجموعة الحضارية (ج) في نهاية الأمر سكان محليون ارتقوا بحضارتهم التي ورثوها عن أسلافهم وطوروها.

(٣٦) جيمس بيكي (١٩٩٤): الآثار المصرية في وادي النيل، الجزء الخامس، من فيلة إلى الخرطوم، ترجمة نورالدين الرازي، (د ن)، (د م)، ص ١١.

(٣٧) موظف مصري ، وهو الذي حفر مقبرة الملك تحتمس الأول في وادي الملوك دون أن يرى أحد أو يسمع أحد. ولعل الهدف من وراء ذلك، السعي بقدر الإمكان لوضع مومياء الملك وأثاثه الثمين بعيداً عن متناول اللصوص. تحدث في مقبرته عن سير الأحداث التي وقعت عندما خلف تحتمس الثالث تحتمس الثاني. حوت مقبرته على أحد المناظر للجنود المصريين وهم يسوقون النساء الكوشيات مع أولادهن المحمولين على سلال على ظهورهن.

(٣٨) H. Junker (1925): *Das erste Auftreten der Neger in der Geschichte*. Wien: Almanach der Akademie der Wissenschaft, p. 163.

(٣٩) سليم حسن، مرجع سابق، ص ٢٨١.

(٤٠) سامية بشير دفع الله (٢٠٠٥): تاريخ مملكة كوش (نبتة ومروي)، الطبعة الأولى، الخرطوم بحري، دار الأشقاء للطباعة والنشر، ص ١٦١.

مواقع حضارة المجموعة (ج)

وجدت مخلفات هذه الحضارة على طول وادي النيل، وقد كان أقصى حدودها الشمالية قرية الكبانيه إلى الشمال من كوم أمبو،[٤١] وقد اكتشف رايزنر وفيرث العديد من المواقع، كان معظمها جبانات تقع بين هذا الموقع ووادي السبوع.[٤٢] كما اكتشفت بعثة جامعة بنسلفانيا مواقع سكنية في عمارة وعنيبة كانت عبارة عن قرى محصنة،[٤٣] وقد وُجدت عظام الأبقار والأغنام في المواقع السكنية.[٤٤] ومن ناحية أخرى اكتشفت جامعة أكسفورد مزيداً من المواقع كان أكثرها أهمية، جبانة فرص.[٤٥] وقام كل من داوس دنهام وأوريك بيتس بعمليات تنقيب في منطقة جيمي.[٤٦]

انتهى الدفن في جبانة الكبانية في منتصف المملكة المصرية الحديثة؛ وربما[٤٧] كانت الكبانية هي المكان الذي منع حكام الأسرة الحادية عشرة المصرية

(٤١) Junker (1910), *op.cit*., p. 35 ff.

(٤٢) Reisner (1910), *op.cit*.; Firth (1912) and (1915), *op.cit*.

(٤٣) سامية بشير، مرجع سابق، ص ١٥٢.

(٤٤) G.A. Posner (1958): "Pour une localisation du pays Koush au Moyen Empire", *Kush*, Vol. V1, P. 48.

(٤٥) F.L.I. Griffith (1921): "0xford excavations in Nubia: Nubia from the Old to the New Kingdom", *LAAA,* VoL. 8, pp.1-18 and 65-104.

(٤٦) O. Bates & D. Dunham (1927): "Excavations at Gemmai", *Harvard African Studies*, Vol. Boston. V111,

أنظر أيضاً سامية بشير دفع الله (١٩٩٩): تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور حتى قيام مملكة نبتة، الخرطوم، (د ن)، ص ١٥٤.

(٤٧) Arkell, *op.cit*., p. 54.

أهل المجموعة (ج) من التقدم شمالاً إلى طيبة. فقد كانوا ينتهزون فرصة تناحر الأقاليم المصرية، وصراعها من أجل الوصول للعرش، فيندفعون شمالاً ليتخطوا الشلال الأول. وتشير الشواهد التاريخية إلى اهتمام حكام طيبة بهذا الأمر، إذ إن حاكماً من طيبة اسمه انتف يقول "إنه كان مسيطراً على الطريق الجنوبي، وكان عليه مراقبة الهجرة من الجنوب للشمال". كما توجد أيضاً من الشواهد ما يوحي بأن أمراء طيبة كانوا يندفعون وراء المغيرين ويتعقبونهم كلما دعا الأمر. ويشير نقش في طيبة إلى رجل كان قائداً للجند ورئيساً للقوافل التي تتحرك من مناطق الجنوب يزعم فيه أنه استطاع إجبار سكان إقليم الواوات على دفع الجزية.(٤٨)

يلاحظ أن كل المواقع التي تم الكشف عنها ووُجدت فيها مخلَّفات المجموعة الحضارية (ج) تقع إلى الشمال من الشلال الثاني. ومع أنه يصعب تحديد الحد الجنوبي لهذه الحضارة، إلا أن بوسنر (Posner) يرى أن موقع فرص يمثل الحد الجنوبي لها.(٤٩) لكن بسبب وجود عدد من جبانات حضارة المجموعة (ج) في صرص شرق وصرص غرب اقترح مليز (Mills) ونوردستورم (Nordstorm) إن هذه المواقع ربما كانت تمثل الحد الجنوبي لهذه الحضارة.(٥٠)

اختفاء المجموعة الحضارية (ج)

لم تكن العلاقات بين مصر ومنطقة واوات خلال الأسرة السادسة تسير على وتيرة واحدة، بل كانت تتأرجح بين السلم والحرب؛ فقد ذكر بيبي نخت أمير إلفنتين

(٤٨) أحمد البدوي (١٩٢٠): في موكب الشمس، الجزء ٢، ط١، القاهرة، ص ٢٢١–٢٢٢.

(٤٩) Posner, *op.cit.*, pp. 40-63.

(٥٠) A. Mills & H.A. Nordstorm (1966): "The archaeological survey from Gemmaie to Dal", *Kush*, Vol. X1V, pp. 5-8.

أنه بناءً على أمر الملك بيبي الثاني قام بمهاجمة واوات وإرتت الثائرة، وذبح من أهلها خلقاً كثيرين، وأحضر معه رؤساءهم كرهائن إلى جانب عدد كبير من الأسرى والحيوانات. ويقول في تقريره: "أرسلني جلالته لتحطيم هذه البلاد الأجنبية".[٥١] ومن المحتمل أن ما قام به بيبي نخت يرجع إلى ظهور مقاومة مسلحة من قبل أهل المجموعة (ج) للمصريين الذين أخذوا يستهينون بالأهالي بعد أن اتضح لهم نجاح رحلات حرخوف، وعودته بالكثير من الخيرات المرغوب فيها كثيراً في مصر.[٥٢]

يتضح أيضاً من خلال استعراض مجريات الأحوال خلال الأسرة الحادية عشرة أن أهل المجموعة الحضارية (ج) كانوا يقومون بغارات على الحدود المصرية الجنوبية،[٥٣] وتكشف ذلك بردية حكيم مصر إيبور (Ipu-Wer) التي صورت الأوضاع خلال تلك الفترة. فقد ذُكر في تلك البردية أن النحسي والتمحو والميجاو الذين كانوا يعملون مخلصين في جيش الملك أخذوا الآن ينهبون البلاد،[٥٤] فاضطر ملوك الأسرة الحادية عشرة تحت ضغط هذه الإغارات المتكررة إلى إرسال الحملات الحربية لتأمين الحدود، وإخضاع أصحاب حضارة المجموعة (ج). وربما كان في تسجيل أسماء بعض الملوك المصريين في بعض المناطق مثل جرف حسين، توماس، إبريم، وأبو سمبل وغيرها ما يفيد وصول حملات ملوك الأسرة الحادية عشرة إلى

(٥١) J.H. Breasted (1962): *Ancient Records of Egypt*. New York: Russell and Russell INC., Vol.1, paras. 355-359.

(٥٢) سليم حسن، مرجع سابق، ص ٧٢.

(٥٣) W.B. Emery (1965): *Egypt in Nubia*. London: Hutchinson, p. 133.

(٥٤) عبد العال حسين مراجع (١٩٨٩): العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ما قبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبيين لمصر، طرطوس، دار أماني للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٧٥.

تلك البقاع، وتأمين سبل التجارة بين مصر ومنطقة واوات؛[٥٥] وقد وُجد مخطوط في أبيسكو ذكر فيه أن أحد هؤلاء الملوك قام بحملة ضدها.[٥٦] كما صُور منتوحتب الثاني في معبده في الجبلين وهو يهزم أربعة من أعدائه الذين كان من بينهم الكوشيين،[٥٧] وتحدث منتوحتب الثالث في نقش صخري عن حملة بحرية بالسفن إلى واوات، وأعاد منتوحتب الخامس وظيفة حارس باب الجنوب.[٥٨] كل هذه الأدلة الأثرية تؤكد أن أهل المجموعة الحضارية (ج) كانوا يشكّلون هاجساً للمملكة المصرية الوسطى لا يمكن تجاهله.

وقف أهل المجموعة الحضارية (ج) في وجه أطماع الملوك المصريين بقوة وبأس؛ فقد رأوا فيها خطراً يهدد استقلالهم، وخشوا أن يتسلط عليهم المصريون ويخضعونهم لسلطانهم، وبذلك يُقضى على حريتهم كلية. وتدل الأحوال على أنهم في عهد الأسرة الحادية عشرة كانوا يئنون من ضغط المصريين عليهم، مما جعلهم يدفعون الجزية، وكانوا كذلك يوردون لهم السلع أو يبيعونها. غير أن هذا الوضع أظهر عدم جدواه، وذلك لأن ملوك المملكة المصرية الوسطى لم يكتفوا بالتجارة التي كانت تتم عن طريق المقايضة مع الميجاو جنوب الشلال الثاني،[٥٩] ولا بالحملات الحربية التي كانت تُرسل

(٥٥) أحمد البدوي، مرجع سابق، ص ٢٢٧.

(٥٦) J. Leclant (1978): "Egypt in Nubia during the Old, Middle and New Kingdoms", *Africa In Antiquity*, Vol. 1, p. 63.

(٥٧) *ibid*., p. 63.

(٥٨) A. Moret (1927): *The Nile and the Egyptian Civilization*. New York and London: Kegan Paul, p. 234.

(٥٩) A.H. Gardine (1961): *Egypt of the Pharaohs*. Oxford: The Clarendon Press, p. 134.

من وقت لآخر، إذ فكروا في احتلال واوات[٦٠] حتى يبقى الطريق التجاري إلى الأماكن التي يصرفون فيها تجارتهم مفتوحاً دون أي منافس.[٦١]

بدأ أمنمحات الأول ١٩٩١-١٩٦٢ ق.م.، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة، مشروع احتلال منطقة واوات وضمها إلى التاج المصري؛ وتشير النقوش الصخرية عند وادي جرجاوي بالقرب من كورسكو، والمؤرخة بالعام التاسع والعشرين من حكمه إلى إرساله حملة إلى واوات، ونجد الدليل أيضاً فيما قرره أمنمحات الأول بنفسه في تعاليمه لابنه وولي عهده، سنوسرت الأول ١٩٧١-١٩٢٨ ق.م.، من أنه أخضع أهل واوات والميجاو، ولعل في تسجيل اسمه في محاجر الديورايت بأبي سمبل دليلاً على نشاط بعثات المحاجر في أواخر أيامه.[٦٢]

واصل سنوسرت الأول سياسة والده فقاد أولى حملاته ضد واوات؛ وقد وُجد مخطوط في الصحراء بالقرب من كورسكو جاء فيه: "جئنا لنحطم واوات".[٦٣] وربما كان الغرض من هذه الحملة السيطرة على منطقة واوات استعداداً لمواجهة أشد مع كوش في الجنوب. ويرى إمري أن هناك هدفاً مزدوجاً لهذا الاعتداء؛ فهو من ناحية توسع استعماري، ومن ناحية أخرى جعل منطقة واوات حاجزاً بين مصر وكوش[٦٤] (مملكة كرمة). بالتالي أراد المصريون تفادي الخطر القادم من الجنوب، أي من كوش.

(٦٠) J. Vercoutter (1959): "Ancient Egyptian influence in the Sudan", *SNR*, Vol. XL, p. 12.

(٦١) سليم حسن، مرجع سابق، ص ١٢١.

(٦٢) نفس المرجع، ص ص ١٠-١١.

(٦٣) Emery, op.cit. , p. 141.

(٦٤) *Ibid*. p. 142.

كانت حملات سنوسرت الأول على واوات بالنسبة لحضارة المجموعة (ج) حاسمة؛ وقد سجل الملك أخبار انتصاراته ووصوله إلى أقصى منطقة وصلت إليها القوات المصرية تحت قيادة قائده منتوحتب، على لوح تم وضعه في معبد بوهين، وذلك في العام الثامن عشر من حكمه.[٦٥] لذلك كان الغرض من القلاع التي بدأ تشييدها في منطقة الشلال الثاني في عهده، السيطرة على أصحاب حضارة المجموعة (ج) خشية إثارة الاضطرابات على حدود مصر الجنوبية.[٦٦] ويشير الاحتلال النهائي للمنطقة على أيام سنوسرت الثالث ١٨٧٨-١٨٤٣ ق.م. إلى المقاومة العنيدة التي واجهها المصريون من قبل سكانها،[٦٧] لكن في نهاية الأمر شكل احتلال سنوسرت الثالث لمنطقة واوات الضربة القاصمة لوجود هذه الحضارة.[٦٨]

خلو منطقة أهل حضارة المجموعة (ج) من السكان

اختلف المؤرخون حول الأسباب التي أدت إلى خلو منطقة واوات من السكان، سواءً كانوا من المصريين أوالسكان المحليين، وحول الجهة التي لجأ إليها سكانها المحليون. لكن البينات الآثارية أثبتت أن أصحاب المجموعة (ج) هاجروا نحو الجنوب (منطقة الشلال الرابع) في الفترة ما بين منتصف الأسرة الثامنة عشرة والأسرة العشرين.[٦٩]

(٦٥) Breasted, *op.cit*., p. 51.

(٦٦) Arkell, *op.cit*., p. 62.

(٦٧) سليم حسن، مرجع سابق، ص ٩٢.

(٦٨) Griffith, *op.cit*., pp. 65-71.

(٦٩) Adams (1977), *op.cit*., p. 240.

يرى بعض المؤرخين أن انخفاض منسوب النيل السنوي، وتدهور الإنتاج الزراعي الذي نتج عنه،[٧٠] مع عبء الضرائب الباهظة التي وجهت ضربة قاصمة إلى اقتصاديات البلاد، والتي شملت أيضاً الرقيق، قادت إلى هجرة عامة من إقليم واوات، وأن ما تبقى في المنطقة هم الكوشيون الذين تمصروا، وتم استيعابهم في المؤسسات المصرية. لذلك لجأ أهل ذلك الإقليم إلى الجنوب، حيث الأراضي الأكثر خصوبة وحماية بين الشلالين الثالث والرابع.[٧١] ويتفق جمهور من العلماء بأن المعالم المميزة لحضارة المجموعة (ج) بدأت تختفي بطريقة تدريجية بعيد دخول القوات المصرية منطقة الشلال الثاني في حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م.، أي بداية المملكة المصرية الحديثة. ومما يؤكد خلو إقليم واوات من السكان في تلك الفترة أنه عثر على مائة قبر فقط ترجع لعهد الأسرة التاسعة عشرة، وأقل من عشرة قبور ترجع لعهد الأسرة العشرين.[٧٢]

أوجه الشبه والاختلاف بين حضارة المجموعة (ج) وبين حضارة كرمة (كوش الأولى)

تمكن أصحاب حضارة المجموعة (ج)، رغم هيمنة الجيوش المصرية ورقابتها، من تدعيم أنفسهم في منطقتهم، وتطويرحضارة أشبه بحضارة كرمة،[٧٣] في نفس الوقت الذي ازدهرت تلك الحضارة.[٧٤] وكانت تربط بين الحضارتين وشائج القربى،

(٧٠) Firth (1915): *op.cit.*, p. 2.

(٧١) Adams (1964): *op.cit.*, pp. 107-108.

(٧٢) *Ibid.*, p.108.

(٧٣) ماريا كوستانزا، مرجع سابق، ص ٢٧.

(٧٤) أسامة عبدالرحمن النور (١٩٧٩): "عودة لمسألة تاريخ السودان الحضاري من المرحلة الانتقالية الثانية (١٧٠٠– ١٥٨٠ ق.م.)"، مجلة المؤرخ العربي، العدد التاسع عشر، ص ١٤٥.

وكلتاهما متفرعتان من الثقافة الأفريقية؛ وفي تقدير يونكر أن حضارة المجموعة (ج) قد تأثرت تأثراً عظيماً بحضارة كرمة.(٧٥)

كان كل من أهل حضارة كرمة والمجموعة (ج) يفلح الأرض ويرعى الماشية، كذلك يوجد تشابه بينهما من حيث الملبس، خاصة الأحزمة المزينة بالخرز؛ ولابد أن وجود التشابه يعود للتجاور والتداخل والتزامن في الظهور بين الحضارتين. رغم ذلك لابد من الإشارة إلى أن حضارة المجموعة الحضارية (ج) كانت تختلف عن حضارة كرمة، وأنها قد قطعت شوطاً بعيداً من حيث التطور المحلي المستقل.(٧٦) كان من عادات الدفن في كرمة أن يدفن مع المتوفى عدد عظيم من الأتباع كقرابين بشرية، ولكن في المجموعة (ج) كان صاحب القبر يُدفن وحده.(٧٧) ومن الفروقات بينهما أيضاً، لم تكن تُعرف في حضارة كرمة الأقراط وأسورة السواعد المصنوعة من أصداف البحر، والتي وُجدت في عصر حضارة المجموعة (ج) المتأخر.(٧٨)

ظلت جبانات المجموعة الحضارية (ج) حتى أواخر فترة وجودها، محتفظة بطابعها المحلي المميز.(٧٩) وعلى الرغم من تزايد الصلات مع مصر فقد استمرت حضارة المجموعة (ج) تتطور في اتجاهها الخاص دون أن تأخذ عن مصر لا تقنيتها

(٧٥) Junker (1926), *op.cit*., p. 10.

(٧٦) Osama, EL-Nur (1977): *Problema groupi C vistori Kulturi Dervneva Sudana in Meroe Istoria Kulturi Drevnva Sudan*. Moscow, p. 255.

(٧٧) سليم حسن، مرجع سابق، ص ١٨٩.

(٧٨) Reisner (1923), *op.cit*., p. 48.

(٧٩) T. Save Soderbergh (1962): "Preliminary report on the Scandinavian Joint Expedition", *Kush*, Vol. 10, pp. 90-95.

ولا عقائدها الدينية ولا الكتابة.[٨٠] وظل ممثلو حضارة المجموعة (ج) متمسكين بأراضيهم، ومحافظين على حضارتهم التي تعرضت للحد الأدنى من التأثيرات المصرية، رغم نجاح الملوك المصريين منذ ملوك الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة من مد حدودهم الجنوبية حتى سمنة، وتشييد قلاع الشلال الثاني بهدف تقوية وتحصين الحدود الجنوبية للدولة المصرية الوسطى.[٨١]

المجموعة الحضارية (ج) وأصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين

اختلفت الآراء حول أصل ملوك الأسرة الخامسة والعشرين؛ وقد كان من الآراء التي وُضعت حول أصلهم أنهم كوشيون تمصروا لدرجة عالية نتيجة للعلاقات مع مصر، ونتيجة للصلات القوية التي كانت تربطهم بكهنة الإله آمون في معبد جبل البركل؛ فاعتنقوا عبادة الإله آمون وأخلصوا له، وأن هؤلاء الكهنة هم الذين دفعوا ملوك هذه الأسرة إلى احتلال مصر، كما يرى آركل.[٨٢]

عد الباحثون هذا الافتراض أنسب الافتراضات، وذلك لوجود الكثير من الأدلة الأثرية والتاريخية والأنثروبولوجية التي تدعمه. فالدليل الأثري نجده واضحاً في مدافن الأسلاف بالكرو، وفي طريقة بنائها، وفي طريقة الدفن نفسها؛ فقد أظهر هؤلاء الأسلاف تقاليد لا تمت للمصريين بأية صلة.[٨٣] ففي القبرين اللذين كشف عنهما

(٨٠) نجم الدين شريف (١٩٨٥): "النوبة قبل نباتا (٣١٠٠–٧٥٠ ق.م)"، في: اليونسكو: تاريخ أفريقيا العام، الجزء الثاني، ص ٢٥٦.

(٨١) G.A. Reisner (1918): "The Barkal temples in 1916", *JEA*, Vol. V, pp. 55-79.

(٨٢) Arkell (1961), *op.cit*., p. 115.

(٨٣) I.M. Bakar (1965): "The Relationship between the C Group /Kerma/Napatn and Meroitic cultures", Kush, Vol. X111, Khartoum, p. 262.

رايزنر تحت المعبد (B-600)، واللذين بُنيا في عهد المملكة المصرية الحديثة بالقرب من جبل البركل، وسبقا تاريخياً مدافن الكرو، كما هو واضح من وضعهما – كانا دون أدنى شك من النوع المحلي، وذلك لأنهما حُفرا في هذا الموقع قبل وصول المصريين لهذه المنطقة، ويبدو من طريقة الدفن وجه الشبه بينهما وبين مدافن المجموعة (ج).(٨٤)

وُجدت في الناحية الشمالية وفي أعلى نقطة في الهضبة من جبانة الكرو نفسها بعض المدافن ذات الطابع المحلي الصرف، وكانت شبيهة بمدافن المجموعة الحضارية (ج).(٨٥) ويوضح وضع هذه المدافن، أنها ربما كانت أقدم من القبر (Ku.Tum.1) الذي يُعتبر أول قبر بُني في هذه الجبانة. شمل الدفن على الطريقة المحلية أيضاً قبور الأجيال الأولى المدفونة في هذه الجبانة، والتي كانت طريقة البناء والدفن فيها مطابقة لحد كبير لقبور حضارة المجموعة (ج).(٨٦)

اعتقد دنهام أن مدافن الأسلاف الذين دفنوا في هذه الجبانة كانت تتألف من حفر تعلوها أكوام ترابية، وأنها كانت تحمل بعض خصائص قبور المجموعة (ج)، وأن هذه الأبنية الفوقية التي وُجدت في مدافن الكرو الأولى كانت سمة في المنطقة الواقعة شمال الشلال الثاني منذ عهد ما قبل الأسر إلى ما بعد حضارة كرمة.(٨٧)

(٨٤) Reisner (1918): *op.cit*., p. 100.

(٨٥) D. Dunham (1950): *The Royal Cemeteries of Kush,* Vol.1*, El Kurru*. Cambridge: Harvard University Press, PL. XXV11, D.E.

(٨٦) علي أحمد قسم السيد (١٩٩٢): "آراء حول أصل الأسرة الخامسة والعشرين من حكام مصر"، مجلة الدراسات السودانية، المجلد الثاني عشر، العدد الأول، ص ١٠٣.

(٨٧) D. Dunham (1947): "Outline of the ancient history of the Sudan", *SNR*, Vol. 28, p. 2.

وقد اقترح كندال إجراء تعديل طفيف حول نظريتي رايزنر ودنهام الخاصة بتطور المدافن في الكرو؛ ففي تقديره أن ما يسمى بالمدافن التلية كانت في الحقيقة بنيات مربعة أو أسطوانية شديدة الإنحدار أشبه ما تكون بمدافن المجموعة (ج) النموذجية.(٨٨)

من ناحية أخرى يمثل اتجاه الدفن شمال – جنوب، وفي كل القبور التي يرجع تاريخها للأجيال الأبجدية (A-E)، وجه شبه آخر مع حضارة المجموعة (ج)،(٨٩) وهو يختلف عن التقاليد المصرية الدينية التي كانت تقتضي أن يكون وضع المتوفى في اتجاه شرق– غرب. ولا بد أن نذكر أن اتجاه الدفن لم يتغير في جبانة الكرو، إلا منذ عهد الملك كاشتا بعد أن قام الملوك الكوشيون بغزو مصر وحكمها،(٩٠) حيث بدأت تقاليد الدفن المحلية تختفي من قبور الملوك الكوشيين لتحل محلها تقاليد الدفن المصرية.

أثبتت الدراسات التي أُجريت على قبور الكرو الأولى أن الجثث كانت توضع على أسرَّة (عناقريب)، وهي عادة محلية قديمة وُجدت في القبور المتأخرة للمجموعة (ج)،(٩١) كما وُجدت في قبور الدفوفة الشرقية بمنطقة كرمة.(٩٢) ومن ناحية أخرى أثبتت الحفريات التي أجراها رايزنر في جبانة الكرو أن بعضاً من قبور الملوك (Ku.15.Ku.X1V,Ku18,Ku17) ومعظم قبور الملكات كان يحوي دفناً على

(٨٨) تيموثي كندال (٢٠٠٦م): "أصل الدولة النبتية: الكرو والبينة الخاصة بالأسلاف الملكيين"، أركمني، مجلة الآثار السودانية، العدد الثامن (ترجمة أسامة عبد الرحمن النور).

(٨٩) Firth (1909-1910), *op.cit*., p. 23.

(٩٠) D. Dixon (1964): "The origin of the kingdom of Kush", *JEA*, Vol. 50, p. 129.

(٩١) Firth (1909-1910), *op.cit*., Plan 3,Tombs No.113,116,135,219,229.

(٩٢) Reisner (1923), *op.cit*., p. 65ff.

عنقريب، وهي نفس العادة المحلية القديمة. واستناداً على هذا الدليل فقد ظن بعض علماء التاريخ المصري القديم أن هؤلاء الملوك ربما كانوا أحفاداً لملوك مملكة كرمة.(٩٣)

على الرغم من أن مدافن الأسلاف في الكرو تعرضت خلال الحقب الطويلة التي مرت عليها لعمليات نهب مستمرة، إلا أنها حملت تشابهاً واضحاً مع مدافن حضارة المجموعة (ج)، حيث نجد أن البناء فوق سطح الأرض في بعض قبور الأسلاف احتوى على مقصورات جنائزية مبنية من الطوب اللَّبِن كما في القبر (Ku.Tum.6). وقد بُنيت هذه المقصورة في الجانب الشرقي،(٩٤) وهو تقليد ظهر في آخر عهود حضارة المجموعة (ج)، حيث بُنيت حجرات مستطيلة من اللَّبِن في الجانب الشرقي لتوضع بداخلها القرابين،(٩٥) وذلك بدليل وجود الآنية الفخارية في بعضها.(٩٦)

استدل الباحثون بهذه الأدلة مع غيرها على أن هذه الأسرة لم تكن مصرية الأصل ولا ليبية، بل هي أسرة محلية سودانية، وإن كان بعض المؤرخين قد جعلوا من أفرادها أحفاداً لزعماء حضارة المجموعة (ج) أو حضارة كرمة بناءً على التشابه في بعض التقاليد. فليس ذلك من المستبعد، خاصة أن هذه الحضارات بدءاً بحضارة المجموعة (ج)، وحضارة كرمة، وأخيراً الحضارة الكوشية (كوش الثانية نبتة – مروي) فيما بعد أظهرت أنها مرتبطة ببعضها في كثير من السمات. ويمكن أن نلاحظ ذلك في بعض النواحي كتقليد دفن الحيوانات الأليفة، مثل الضأن والكلاب ورؤوس

(٩٣) D. Dunham (1947), *op.cit*., p. 3; Vercoutter, *op.cit*., p. 14; Arkell (1961) *op.cit*., pp. 119-120; Dixon, op.cit., p. 296.

(٩٤) Dunham (1947), *op.cit*., p. 125.

(٩٥) Adams (1977), *op.cit*., p. 157.

(٩٦) Firth (1909-1910), *op.cit*., p. 23.

الأبقار، مع المتوفى أو بالقرب منه. فمثلاً كان المدفن التلي (Ku.Tum.4) في مقبرة الكرو، والذي ربما كان لامرأة شابة، قد اختلطت فيه العظام البشرية مع فك سفلي لحيوان صغير، ربما كان كلباً دُفن معها.(٩٧)

كذلك يمكن اعتبار التحلي بأقراط الأذنين صفة مميزة لكل الحضارات السودانية القديمة.(٩٨) وتشير الأدلة الأثرية القديمة أن الرجال والنساء قد تحلوا بالأقراط في حضارة المجموعة (ج) لحد ما، وأنها استعملت في خلال حضارة كرمة بصورة واضحة. أما في حضارة مملكة كوش الثانية (نبتة – مروي) فقد كانت جزءاً مهماً من أدوات الزينة الملكية لملوك الفترتين،(٩٩) وقد وُجد تمثال للملك شبتاكا في الكرنك وهو يرتدي أقراطاً دائرية.(١٠٠) كما يمكن ملاحظة الأقراط في أذني الملك تانوت أماني، وذلك في تصويره على جدران حجرة دفنه الخارجية.(١٠١) ومما يدل على استمرار هذا النوع من الزينة الملكية، وجود مجموعة منها ضمن أدوات الزينة الملكية في الفترة المروية.(١٠٢) وقد أشار رايزنر إلى وجود كميات هائلة من أدوات الزينة ضمت فيما بينها أقراطاً ذهبية وُجدت في جبانة البجراوية الغربية.(١٠٣)

(٩٧) تيموثي كندال، مرجع سابق.

(٩٨) Bakar, *op.cit*., pp. 263-264.

(٩٩) *ibid*., p. 264.

(١٠٠) E.R. Russmann (1974): *The Representation of the King in the XXVth Dynasty*. Bruscelles: Brooklyn, pp. 26-27.

(١٠١) Dunham (1950), op.cit., PLS.18-19.

(١٠٢) P.L. Shinnie (1967): *Meroe, a Civilization of the Sudan*. London: Thames and Hudson, p. 124.

(١٠٣) Reisner (1918), *op.cit*., pp. 157-160.

كان الزعم السائد، وجود ظاهرة مشتركة بين هذه الحضارات السودانية القديمة، ألا وهي الكومة الترابية، إلا أن كندال يرى أن الأبنية الفوقية في قبور الجيل الأول في الكرو لم تكن كومات، وإنما كانت ذات أشكال أسطوانية (Stubby Cylindrical Structure) تماثل أبنية المجموعة الحضارية (ج).(١٠٤)

رغم التشابه بين هذه الحضارات السودانية القديمة إلا أننا نخلص إلى أن أفراد الأسرة الخامسة والعشرين هم أحفاد أهل المجموعة الحضارية (ج)، وليسوا أحفاداً لحكام كرمة،(١٠٥) خاصة إذا علمنا أن الأدلة الأثرية عن حضارة كرمة لم تثبت حدوث هجرة منها نحو الجنوب، أو تناقصاً في عدد السكان، كما هو الحال في حضارة المجموعة (ج) الذين ثبت تاريخياً أنهم هاجروا إلى الجنوب – ربما منطقة جبل البركل – في الفترة ما بين منتصف الأسرة الثامنة عشرة والأسرة العشرين،(١٠٦) مستغلين الفراغ السياسي الذي خيم على المنطقة بعد انسحاب المصريين منها، وحيث الظروف المناخية والطبيعية أنسب بكثير مما هي عليه في وطنهم. فاستقروا في هذه المنطقة، واختلطوا بالسكان المحليين مكونين بذلك النواة الأولى للحضارة التي عُرفت لاحقاً بحضارة نبتة.(١٠٧)

(١٠٤) T. Kendall (1992): "The origin of the Napatan state", paper presented to the 7th Int. Conference for Meroitic Studies, Berlin.

(١٠٥) أسامة عبد الرحمن النور (٢٠٠٦): دراسات في تاريخ السودان القديم، أم درمان، مركزعبد الكريم ميرغني الثقافي، ص ٣٢٦.

(١٠٦) Adams (1977), *op.cit*., p. 240.

(١٠٧) علي أحمد قسم السيد (١٩٩٢)، مرجع سابق، ص ١٠٨.

أما عادة الدفن على العنقريب فلم تكن قاصرة على أهالي كرمة، حيث أثبتت الحفريات التي أُجريت على بعض مدافن المجموعة (ج) أن بعضاً منها، والتي يرجع تاريخها لآخر سني هذه الحضارة، كان يحوي دفناً على عنقريب. كذلك ملاحظة أخرى على قدر كبير من الأهمية، وهي اختفاء ظاهرة القرابين البشرية في مقبرة الكرو، إذ تعتبر من أبرز التقاليد الجنائزية المميزة لحضارة كرمة،(١٠٨) والتي لم يُوجد لها أي أثر في جبانة الكرو.

ومن ناحية أخرى فإن حضارة كرمة، وحسب رؤية بونيه، قد ظهرت حوالي ٢٥٠٠–٢٤٠٠ ق.م. في المنطقة الممتدة من عكاشة وحتى نبتة،(١٠٩) عليه فإن منطقة نبتة كانت جزءاً من مملكة كرمة؛ فلماذا لم تُمارس كل تقاليد الدفن الخاصة بكرمة فيها لو كان أصحاب مدافن الكرو هم أحفاد لأهل حضارة كرمة؟ فقد اختفت ظاهرة دفن الضحايا الحيوانية أيضاً، وهي الأخرى تمثل عنصراً واضحاً من عناصر حضارة كرمة. ومن ناحية أخرى حوت جبانات كرمة قبور الملوك والرعية معاً؛ هذه الممارسة ربما قصد منها تبعية الرعايا للحكام.(١١٠) هذا الأمر ليس لنا أي دليل على وجوده في جبانة الكرو والتي كانت مقبرة للأسرة الحاكمة فقط.

ولعل التفسير المنطقي لبقاء تقاليد المجموعة الحضارية (ج) المحلية طوال هذه المدة، والكشف عنها تحديداً في مدافن الأسلاف، رغم تأثير عناصر الحضارة المصرية المباشرة على كل من المجموعة الحضارية (ج) وكرمة، هو أن هؤلاء (الأسلاف) الذين خرجت منهم الأسرة الخامسة والعشرون ينتمي أفرادها إلى ذات المجموعة التي أطلق عليها رايزنر المجموعة (ج).

(١٠٨) Dunham (1947), *op.cit.*, p. 2.

(١٠٩) الحاكم وبونيه، مرجع سابق، ص ٦٩.

(١١٠) سامية بشير، مرجع سابق، ص ٢٠٣.